ASJP
Algerian Scientific Journal Platform

مجلة افاق للعلوم
Issn: 2507-7228 – Eissn: 2602-5345
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/351

المجلد: 07 العدد: 03(2022) ص477-488

البيئة العمرانية والسلوك الإنساني في ظل التحديات المعاصرة

Urban Environment and Human Behavior In View of Contemporary challenges

د.حفيظي ليليا
جامعة أم البواقي (الجزائر)
Lilia.hafidi@univ-oeb.dz

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
30 ديسمبر 2021
تاريخ القبول:
09 فيفري 2022

الكلمات المفتاحية:
- ✓ البيئة العمرانية
- ✓ السلوك الانساني
- ✓ الهوية والثقافة العمرانية

الملخص:

يهدف هذا المقال إلى تناول علاقة البيئة العمرانية بالسلوك الانساني في ظل التحديات المعاصرة، حيث أصبح الواقع الفعلي للتخطيط والتصميم العمراني الحديث يركز على الجانب المادي ويغفل الجانب المعنوي(السلوك الانساني) الذي يتوافق مع ثقافة وهوية واحتياجات سكان المدن. وقد بينت نتائج الدراسة أن العلاقة بين البيئة العمرانية والسلوك الانساني تبادلية، فهي لا تقف عند الحدود الانتفاعية، ولكن تمتد لتمس النواحي الجمالية، السلوكية والانسانية...لهذا فالإنسان يؤثر ويتأثر بالبيئة المادية التي يعيش فيها. ومن هذا المنطلق، هناك ضرورة لتكامل الدراسات الخاصة بالبيئة المادية مع الدراسات الانسانية في تصميم الفراغات العمرانية لأجل تحقيق التنمية العمرانية المتكاملة والشاملة في المدن.

Article info

Received
30 December 2021
Accepted
09 February 2022

Keywords:
- ✓ *Urban Environment*
- ✓ *human behavior*
- ✓ *Urban identity and culture*

Abstract :

The present article aims at addressing the relationship that exists between the urban environment and human behavior in view of contemporary challenges, since the actual reality of modern urban planning and design focuses on material aspect and neglects the moral aspect (human behavior) that corresponds with the city residents' culture, identity, and needs

The study findings revealed that the relation between the urban environment and human behavior is mutual, given that it does not cease at the beneficial limits, but extends to reach esthetic, behavioral and human aspects. Therefore, man affects and is affected by the physical environment in which he is living. It is accordingly, required to integrate material environment studies with human studies into the design of urban spaces in the objective of reaching integrated and global urban development.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

مقدمة:

أكدت الدراسات والنظريات في مجال علم النفس وعلم الاجتماع، على أهمية البيئة المحيطة بالإنسان في اكتساب وتعلم السلوك، فالعلاقة بين الانسان من خلال سلوكه الانساني والبيئة العمرانية علاقة بين بيئة لامادية وأخرى مادية، حيث أن المحتوى المادي(البيئة العمرانية) الذي يشمل البيئة المحيطة بالإنسان التي تؤثر على الأنساق السلوكية لأفراد المجتمع وفي نفس الوقت تتأثر بها، من خلال علاقة تبادلية، تبين مدى أهمية المحافظة على الهوية العمرانية خاصة في عصر التحديات والرهانات التكنولوجية التي عرفها العالم.

يعد العمران أداة فعالة لتنمية المجتمع سواء في مرحلة البناء والتشييد أو مرحلة الاستعمال او الاستخدام، فيمكن استغلال مرحلة التشييد والبناء في تنمية المجتمع من خلال مشاركة المستعمل في البناء، أما مرحلة الاستعمال تعنى معايشة الناس للعمران واستخدام عناصره من مباني وفراغات، وهى مرحلة ممتدة التأثير، لأن العمران يكون قد استقر في صورته النهائية، وفى هذه الحالة يكون العمران متوافقا مع المجتمع ومساعدا على تنميته، أو يكون مخالفا لقيم ومتطلبات هذا المجتمع. فالفراغات الخارجية المشتركة بين مجموعة من الوحدات السكنية تكون مجالا خصبا لعلاقات اجتماعية قوية بين السكان، وهناك نوع أخر من الفراغات التي يمكن أن تلعب دورا بارزا في تنمية المجتمع وهى الساحات والفراغات الخارجية التي تحتوى العديد من الأنشطة (الثقافية ،الاجتماعية والترفيهية).

فيكون بذلك، السلوك الانساني محصلة التفاعل بين الانسان والبيئة العمرانية التي يعيش فيها، فهو يؤثر ويتأثر بها، خاصة بعد ظهور توجهات معمارية وإيكولوجية جديدة وحديثة ساهمت في إبراز العديد من الابعاد المستحدثة في عملية تخطيط وتهيئة المدن، لا تهتم بالجانب الصحي والثقافي للإنسان، مما أدى إلى ظهور العديد من المشاكل العمرانية والاجتماعية وكذلك الصحية تهدد الواقع العمراني من الناحية المادية واللامادية.

وبناءا على ذلك، سنحاول من خلال هذا المقال، أن نناقش علاقة البيئة بالسلوك الانساني في الفراغات العمرانية، من خلال الاجابة على التساؤلات التالية:

- ✓ ماهي البيئة العمرانية؟ وماهي علاقتها بالسلوك الانساني؟
- ✓ كيف يمكن توجيه سلوك الانسان نحو بيئته العمرانية توجيها إيجابيا فعالا؟ وماهي الفلسفة التي تساعد في المحافظة على الهوية العمرانية للمنطقة الحضرية في ضوء التحديات والرهانات العالمية في ميدان التخطيط والعمران.

البيئة العمرانية

1.1 تعريف البيئة العمرانية

في البداية، نعرض مفهوم العمران أولا حتى يكون كمقدمة لفهم وإدراك البيئة العمرانية، حيث عرفه ابن خلدون على أنه: "التساكن والتنازل للأنس بالعشيرة وقضاء الحاجات" (ابراهيم،1995،ص17) وهو بذلك يجعل العمران هو الحياة الاجتماعية للبشر في جميع ظواهرها، ويربط بين العمران وأسلوب الحياة وكسب الرزق، فيجعل ما يجمع الناس في عمران واحد هو تعاونهم في تحصيل معاشهم.

والعمران بمفهوم شامل يمكن تناوله من منظورين، فهناك من يراه "نتيجة" وهناك من يراه "وسيلة" لتفاعل الانسان بالبيئة الخارجية، فالمعادلة تبين أن تفاعل الانسان والبيئة يكون العمران وبصيغة أدق "البيئة العمرانية".

فالبيئة العمرانية هي نتاج علاقة الانسان بالبيئة التي يعيش فيها، وتكون مباشرة أو غير مباشرة، فهي ذلك النسيج المادي المعبر عن ناتج تفاعل الانسان مع بيئته بهدف إشباع متطلباته المادية والروحية في إطار محددات خلفياته الثقافية والاجتماعية والفكرية."(بطرس،2013، ص 17)

2.1 أنواع البيئة العمرانية

"يمكن تصنيف البيئة العمرانية من حيث القوى المشكلة للعمران إلى:

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

- البيئة العمرانية التقليدية أو الشعبية.
- البيئة العمرانية المخططة من وجهة النظر الرسمية".(الصاوي،2001، ص 27)

وهذا ما يبينه الشكل التالي:

شكل رقم 1: أنواع البيئة العمرانية

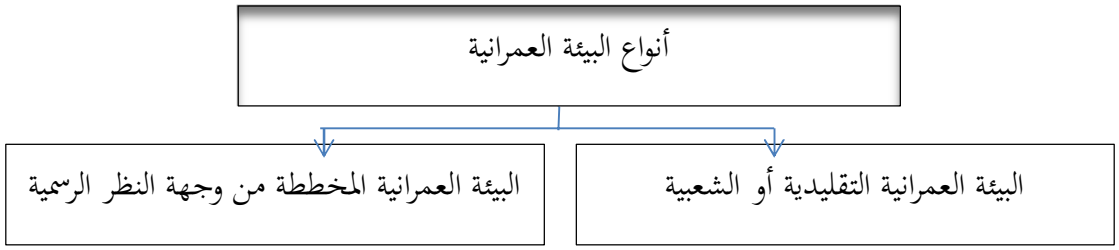

المصدر: (الصاوي،2001، ص 27)

يبين الشكل 1 ، أن البيئة العمرانية تأتي في نوعين التقليدية والمخططة، والفرق بينهما يكمن في علاقة الانسان بالبيئة في كل منهما، فالبيئة العمرانية التقليدية تكون فيها علاقة الانسان ببيئته علاقة مباشرة، حيث يتعامل معها بتلقائية، أما البيئة العمرانية المخططة فتكون العلاقة غير مباشرة نتيجة تدخل أطراف عديدة ومؤسسات وسياسات الدولة.

مما سبق، فهناك العديد من العوامل التي تؤثر في تشكيل البيئة العمرانية وتتحكم في تحديد ملامحها وسماتها بما يتلازم مع احتياجات أفراد المجتمع، وكما يبينها Barker في الجدول التالي:

جدول رقم 1: العوامل المؤثرة في تشكيل البيئة العمرانية

عوامل عمرانية(مادية)	عوامل غير عمرانية(غير مادية)
وهي تشمل كل ماهو خاص بالموقع من تضاريس ومناخ واحتياجات إنسانية خاصة بنوعية الانشطة وطرق الانشاء ومواد البناء المناسبة.	وهي تشمل العوامل السياسة والاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

المصدر: (Barker,1968,p134)

فحسب Barker "فإن للعمران ضوابط تتحكم فيه، مادية وغير مادية يكون من خلالها التشكيل البصري للنطاقات العمرانية، تتمثل في قوانين أثرت في تشكيله على مر الزمن ساهمت في وضع قواعد وشخصية للبطاقات العمرانية وهذا ما يسمى بطابع المكان". (Barker,1968,p134)

3.1 البيئة العمرانية واحتياجات الانسان:

تختلف احتياجات الافراد ومتطلباتهم باختلاف عاداتهم وتقاليدهم، ومنه فهي تختلف من مكان الى آخر، لكن الامر المشترك بينهم هنا هو الاحتياجات الإنسانية المشتركة التي لا يمكن الاستغناء عنها، وحتى وان اختلفت الثقافة بمكوناتها واختلف المجتمع.

وقد تم الاتفاق على أربعة احتياجات أساسية يطلبها الناس للشعور بالرضى في بيئتهم العمرانية التي ينتمون إليها وهي كالاتي:

- "الراحة: يجب ان توفر البيئة العمرانية لساكنيها الراحة والانتماء، بحيث يستطيعون قضاء أطول فترة فيها، ونقصد بالراحة هنا: البيئية، الاجتماعية والفيزيائية والتي تعد أساس نجاح البيئة الحضرية.
- الاسترخاء: يعد الاسترخاء من عوامل الراحة النفسية، والتي تضم راحة العقل والجسم معا، ويحقق ذلك بتوفير الأجواء والعناصر المناسبة من مساحات خضراء وفراغات لقضاء وقت الفراغ والمياه...

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

- الاكتشاف: يعد عنصر الاكتشاف من وجهة نظر علماء النفس عنصرا مهما في بناء شخصية الافراد، لذلك فإن التنوع والابداع والابتكار في البيئة العمرانية يساعد على تنمية وتطوير عنصر الاكتشاف لدى افراد المجتمع."(Tweentieth ,1990,p56)

1. في فلسفة السلوك الانساني:

1.2 تعريف السلوك الانساني:

يعرف على أنه "الأنشطة المتعددة التي يقوم بها الإنسان في حياته وذلك لكي يتكيف مع متطلبات البيئة والحياة المحيطة به، فهو بذلك عبارة عن ممارسات يؤديها الإنسان لحركات أو فعاليات جسمية ونفسية الغرض منها إشباع وتحقيق حاجاته" (عاطف،1975، ص 67)

وهو أيضا "عبارة عن الاستجابات الحركية والغددية أي الاستجابات الصادرة عن عضلات الكائن الحي أو عن الغدد الموجودة في جسمه ولذلك فإن السلوك الانساني يتكون من العديد من الانشطة التي يؤديها الفرد في حياته اليومية حتى يتمكن من القيام بمقتضيات معيشته." (الدباغ،1986، ص 31)

ولاشك في أن إشباع هذه الحاجات عن طريق عملية السلوك الإنساني يعتمد على قدرات الفرد في تحقيق هذه الحاجات، فلكل فرد حاجاته النفسية وقدراته ودوافعه الخاصة إلى تحقيق وإشباع هذه الحاجات.

وللسلوك الانساني ارتباط وثيق بالحياة الاجتماعية ،"فهو يتقوم بما هو متجسد على أرض الواقع من أفعال يقوم بها الإنسان وهذه الأفعال تؤثر تأثيرا مباشرا على المحيط والوسط الذي يعيش فيه الأفراد، بل أن الحياة الاجتماعية تكتسب صورتها من خلال مجمل الفعاليات السلوكية، فالسلوك الإنساني على اختلاف أنماطه وتباين أغراضه وأوصافه يعتبر سلسلة من العمليات المتتابعة المتتالية وبشكل يجعل من مجموعها صيغة شعورية واحدة تؤدي غرضها بعد أن تتجسد حقيقة سلوكية على مسرح الحياة".(الدباغ،1986، ص ص 46-47)

مما سبق، فإن الفرد عندما يمارس أي نشاط سلوكي، فإن هذا النشاط ينعكس على الحياة العامة، ويجعل منه ظاهرة اجتماعية تؤدي فعلها في مختلف الجوانب الاجتماعية، وبمجمل هذه الظواهر المختلفة سواء كانت ظواهر إيجابية ام سلبية فإننا في نهاية الأمر نجد أنفسنا أمام لون من الحياة تفرضه هذه الظواهر، وبذلك نرى ان طبيعة الحياة في أي مجتمع تتشكل وتتقوم بما هو موجود من ظواهر وسلوكيات.

2.2 السلوك الإنساني... المكونات والدوافع الانسانية

أكد كل من Phillip وCook أن السلوك الانساني هو نشاط مركب يتكون من ثلاثة جوانب رئيسية، وهي:

- ✓ "الجانب المعرفي: وهو العمليات المعرفية والعقلية التي يستخدمها الفرد لكي يدرك الأحداث من حوله، وطريقة تفاعله معها التي يتفرد بها كل شخص باستخدام معاني ورموز مختلفة، ومن أهم هذه العمليات التعبير اللغوي واللفظي، والتعبير الرمزي، والإدراك، والتصور، والتذكر.
- ✓ الجانب الانفعالي: وهو حالة الانفعال والعاطفة التي يمر بها الانسان خلال استجاباته السلوكية تجاه ما يتعرض له من مثيرات مختلفة، بمعنى آخر هي الحالة الداخلية للفرد التي ترافق سلوك معين يقوم به، مثل الشعور بالسعادة أو الحماس عند ممارسة نشاط معين، أو الشعور بالارتياح أو عدم الارتياح لمثير آخر.
- ✓ الجانب الحركي: وهو الاستجابات الجسدية التي تظهر على الإنسان عند تعرضه لمثير معين، فتظهر هذه الاستجابات على شكل استجابات حركية، مثل ممارسة الرياضة أو الكتابة أو عزف الموسيقى أو غير ذلك من الاستجابات الحركية." (Phillip&Cook,1986,p45)

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

شكل رقم 2: مركب السلوك الانساني

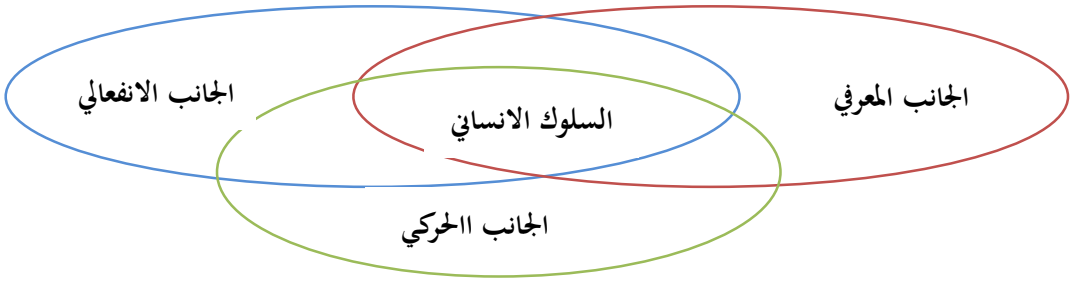

المصدر: (Phillip&Cook,1986,p45)

وقد ارتبط السلوك الانساني بمصطلح الدافع الانساني، فالاستجابات التي تصدر عن الفرد عند تعرضه للمثيرات البيئية المختلفة، لها علاقة وطيدة بالدوافع الانسانية داخلية وخارجية، وهي على النحو التالي:

- ✓ "الدوافع الفطرية: وهي التي يولد بها الإنسان بشكل فطري وتلازمه غريزيا، وهي التي يشترك فيها كل الكائنات الحية بدون أن تتعلمها، مثل الجوع والعطش والأمومة والجنس.
- ✓ الدوافع المكتسبة: وهي التي يكتسبها الفرد من البيئة المحيطة به، ومن خلال تفاعله معها، فهي دوافع يتم تعلمها بالاكتساب والممارسة، مثل التقدير، والاستقلالية، والأمن، والتحصيل، وكسب الأموال، والتميز، والشراء.
- ✓ دوافع التعلم الداخلية: وهي تنبع من الشخص المتعلم نفسه، فيندفع إلى التعلم وفقًا لرغبة داخلية حتى يرضي ذاته.
- ✓ دوافع التعلم الخارجية: وهي تكون دوافع خارجية مثل الوالدين، أو المعلم، أو إدارة المدرسة، أو الأصدقاء، فيندفع الإنسان إلى التعلم حتى يرضي والديه أو يرضه معلمه".(سعد،1971، ص 102)

مما سبق، فإن الدوافع الإنسانية هي الجانب السيكولوجي للاحتياجات الإنسانية، ولا يمكن ملاحظتها بشكل مباشر، وإنما يتم الاستدلال عليها من خلال السلوك الإنساني، فإذا أردت تغيير السلوك فلابد من معرفة الدافع وتغييره، وكمثال على ذلك فإن حاجة الانسان للسكن لها دوافع فطرية ومكتسبة، تبرر علاقته المادية والمعنوية بالبيئة العمرانية التي يسكن فيها.

2. الهوية العمرانية كمؤشر لعلاقة الانسان بالبيئة:

حرصت شعوب العالم منذ بداية البشرية حتى اليوم إلى المحافظة على تميزها وتفردها اجتماعيا واقتصاديا وثقافيا، لذلك اهتمت بأن يكون لها هوية تساعد في الإعلاء من شأن الأفراد في المجتمعات، وساهم وجود الهوية في زيادة الوعي بالذات الثقافية والاجتماعية، مما ساهم في تميز الشعوب عن بعضهم بعضا، فالهوية جزء لا يتجزأ من نشأة الأفراد منذ ولادتهم حتى رحيلهم عن الحياة.

"حيث أثبتت الدراسات الفلسفية والسوسيولوجية أن لكل مجتمع أو أمة عددا من الخصائص والسمات الاجتماعية والمعيشية والنفسية والتاريخية المتماثلة، وهذه السمات تعبر عن كيان ينصهر فيه أفراد منسجمون ومتشابهون بتأثير من هذه الميزات والخصائص التي تجمع ما بينهم" . (ابراهيم،2001، ص 110)

من هذا المنطلق، فإن كل فرد يستمد إحساسه بالانتماء والهوية، ويشعر بأنه ليس مجرد فكرة نكرة، وإنما هو مشترك مع مجموعة كبيرة من الأفراد في عدد من المعطيات والأهداف والمكونات، إضافة لانتمائه إلى ثقافة مركبة من جملة من الرموز والمعايير والصور، وفي حالة انعدام هذا الشعور بالانتماء من قبل الفرد نتيجة عدد من العوامل سواء كانت داخلية أو خارجية ،

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

فإنه ينشأ في أعماقه ما يطلق عليه اسم **أزمة الهوية** والتي ينتج عنها أزمة وعي تؤدي إلى ضياع تلك الهوية بشكلٍ نهائي معلنة نهاية وجوده.

وللهوية أنواع نذكر منها: الهوية العمرانية والمعمارية والمكانية، حيث يختلف مفهوم كل واحدة عن الاخرى، فالهوية المكانية تشمل كل من الهوية المعمارية التي تشمل المباني بتصميمها الداخلي وواجهاتها الخارجية وما تشمله من تفاصيل وعناصر معمارية والهوية العمرانية هي أشمل من المعمارية حيث تشمل حتى البيئة المحيطة بالبنيان.

وتصنف الهوية العمرانية حسب Barker إلى:

شكل رقم 3: تصنيف الهوية العمرانية

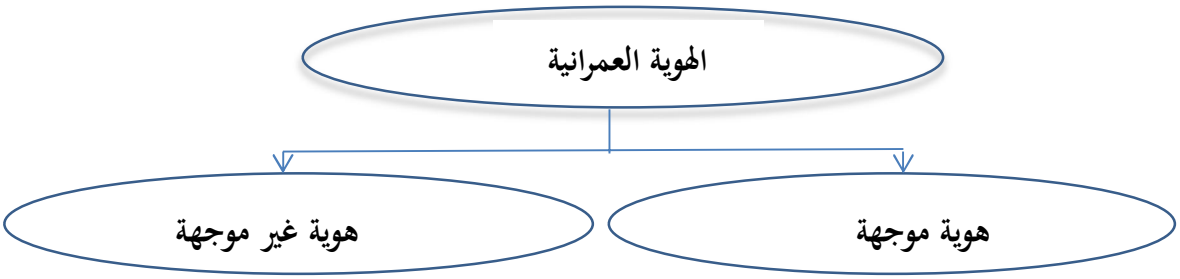

المصدر: (Barker,1968,p151)

- **"الهوية الموجهة:** وهي الهوية التي تصاغ وتصمم عن قصد وإرادة مسبقة على المستوى المؤسساتي الرسمي، وفي بعض الاحيان ترتبط هذه الهوية بتوجهات النظام الحاكم في صياغة صورة بصرية للمدن، تعبر عن توجه فكري أو سياسي، وقد تنجح هذه الصورة البصرية في تحقيق الانطباعات القوية في ذهن المتلقي وإيصال المعنى المطلوب، ولكن ليس بالضرورة أن تحقق الملائمة والرضا بالنسبة للمستعملين. (وهذا ما توضحه الصورة رقم 1)

وكمثال على ذلك: صورة لمدينة نيويورك كمثال عن الهوية الموجهة والتي تبين الحداثة والتوجه الاقتصادي والسياحي للمدينة، وصورة لقصور وادي ميزاب بالجزائر، والتي تعكس الثقافة الميزابية المحافظة والعريقة.

- **الهوية الغير موجهة:** وهي المعبر عنها في البيئات العمرانية التقليدية، وهي لا تأتي عن تخطيط مسبق، بل تجسدها الجماعة في إطار تفاعلها المباشر مع المكان لتلبية حاجاتها المادية واللامادية، وذلك دون تدخل الجهات الرسمية".(Barker,1968,p151)

حيث بينت العديد من الدراسات مدى نجاح هذا النمط في تلبية الحاجات المادية واللامادية للجماعة بالإضافة إلى تشكيل لغة معمارية نابعة من ثقافة وعادات المجتمع نفسه.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

صورة رقم1 : الهوية الموجهة "مدينة نيويورك" صورة رقم 2: الهوية الغير موجهة" وقصور وادي ميزاب"

المصدر: (www.google image.com 16.08.2021)

تأسيسا على ما سبق، فإن العمارة تعكس تراث وعادات وهوية المجتمعات، فحسب ابراهيم محمد فإن " جزءا مركزيا من المشاكل التي تواجهها مجتمعاتنا اليوم تتمثل في أن معظم النخب الحاكمة مرت بعملية انفصال عن جذورها الثقافية، حيث تم استعارة الصورة التي تمثل التقدم من مكان آخر ومن الغرب تحديدا، فللهوية الثقافية المتغيرة في المجتمع كما يرسمها الفلاسفة والفنانين والمعماريين تتحمل المسؤولية في المساعدة في توصيف تلك الصورة التي تمثل التقدم والتي ترسم من المجتمع." (ابراهيم،2001، ص 121)، حيث أصبح التعبير الملموس عن المجتمع في معظم البلدان العربية اليوم، كثيرا ما يقترن بمشهد الأفق في دول غربية، فلا يترك الكثير من المجال لمقاربة حيث تكون أكثر احتراماً للاستمرارية الثقافية وأكثر انسجاماً مع بيئة المجتمع .

وقد تطورت ثلاث نظريات في هذا المجال من خلال دراسات عديدة حول العلاقة بين السلوك الإنساني والبيئة وهي:

- "نظرية Lewin في العلاقة بين البيئة وبين السلوك الإنساني :يعتبر Lewin من أوائل علماء النفس الذين تبنوا المفاهيم والمبادئ الايكولوجية في دراسة سلوك الإنسان، فقد حدد أن الخطوة الأولى لفهم السلوك الفردي أو الجماعي للإنسان تتحقق من خلال التعرف علي الظروف والمواقف المحيطة به، وقد عبر عن العلاقة بين سلوك الإنسان والبيئة المحيطة به من خلال المعادلة B=f(P.E) والتي تتضمن مكوناتها ثلاث عناصر هي: (B)السلوك(P) الأفراد(E) البيئة ، وتشير المعادلة إلى أهمية تساوى الشقين في الجانب الأيمن وهما الأفراد والبيئة التي يتواجدون فيها، حيث توضح المعادلة إلى أن التكامل بين الإنسان والبيئة هو العامل الأساسي في إيجاد الشق الأيسر منها وهو السلوك."(عسكر،الانصاري،1973،ص 82)

ومن هنا، يتضح أن السلوك هو نتاج للتفاعل بين البيئة والإنسان، من خلال مفهومه المسمى بحيز الحياة (Space Life) على التفاعل المستمر بين القوى الداخلية للإنسان مثل الاحتياجات الشخصية وبين الظروف الخارجية المتعلقة بكافة الظروف البيئية.

- "نظرية Barker للمجال السلوكي : قام (1968 Barker)بتطوير بعض المفاهيم الخاصة بالعلاقة بين السلوك والبيئة، وتوصل إلى أنه يمكن الوصول لصورة أكثر دقة لسلوك الإنسان من خلال معرفة الموقف الذي يتواجد فيه، وذلك أفضل من المعرفة بالسمات الفردية فقط .وقد أظهرت نتائج دراسته أن سلوك كل إنسان يختلف على مدار اليوم باختلاف المواقف التي يتعرض لها، كما أن التشابه بين المواقف والأحداث والظروف البيئية يحقق تشابها كبيرا في سلوك مجموعة مختلفة من الناس، وبناء على ذلك فقد تم تأكيد أن الفرد يميل إلى ملائمة سلوكه للموقف الذي يتواجد فيه." (عسكر،الانصاري،1973،ص 83) وكان من أهم نتائج تلك النظرية أهمية المحتوى الذي يدور فيه السلوك وقد قام Barker بتطوير المفاهيم الناتجة من نظريته

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

للمجال السلوكي ليتوصل من خلالها إلى أن للمكان السلوكي مهمة أساسية تتطلب وجود عدد معين من الأفراد لإنجازها، وفي حالة نقص عدد الأفراد عن المطلوب فان ذلك غالبا ما يدفع الأفراد المتواجدين إلى اتخاذ ردود أفعال معينة.

- "نظرية Bronfenbrenner لتأثير البيئة على نمو سلوك والإنسان: قام(Bronfenbrenner 1979)بتكوين مفهوم جديد لنمو الإنسان وسلوكه في البيئة، وخاصة التفاعل بينهما وقد تناول نمو الإنسان من منظور مختلف حيث آن محور الاهتمام للنظرية لا ينصب على العمليات السيكولوجية لعملية النمو وإنما تم تناول النمو الإنساني كعملية تغير للمواد التي يدركها الفرد من البيئة المحيطة به."(باهر،2001، ص 81)

من خلال تناول هذه النظريات للعلاقة بين سلوك الإنسان والبيئة من منظور إيكولوجي، يمكن استنتاج أن أغلبيتها أوضحت التأثير الفعال للبيئة المحيطة بالإنسان في التأثير على سلوكه، كما أنها تناولت البعد المادي كأحد مكونات هذه البيئة.

3. علاقة السلوك الانساني بالبيئة العمرانية في ظل التحديات المعاصرة:

1.4 إدراك الانسان للبيئة العمرانية وتأثره بها:

إن تعامل الانسان مع البيئة الفراغية، يعتمد أساسا على مدى إدراكه للفراغ وطريقة استيعابه للبيئة من حوله، فالفرد يدرك البيئة من خلال مستويات هي :

- "البيئة الجغرافية: وتمثل المحتوي الكوني العام بالنسبة لإدراك الفرد، وتحتوي داخلها على البيئة التفاعلية للأفراد.
- البيئة التفاعلية: وهي مكونة من الاجزاء التي يصطدم بها الانسان في تعاملاته، والاجزاء المدركة تعتبر هي البيئة المعروفة لدى الانسان.
- البيئة المدركة: وهي التي تعتمد على المؤشرات الحالية والخبرات السابقة.
- البيئة السلوكية: تمثل الجزء الأقرب إلى الفرد، وهي جزء من البيئة المدركة للفرد والتي تحدد سلوكه تجاه البيئة." (سعد،1971، ص 135)

مما سبق، فإن التعامل مع البيئة لا يشمل فقط تأثير البيئة على الانسان، بل يشمل أيضا انعكاس سلوكياته على البيئة من حوله، أي أن التأثير بصورة متبادلة، وعليه فالعلاقة بين السلوك الانساني والبيئة العمرانية ازدواجية "تأثير وتأثر"، فالبيئة العمرانية بالنسبة للإنسان كالقوقعة بالنسبة للحلزون، فهي تشكل جسمه في داخلها حسب شكلها، فهنا تظهر أهمية الاعتبارات الوظيفية للأنشطة والأنساق السلوكية داخل المكان، وذلك لأهمية سلوك الافراد والمستخدمين داخل الفراغ.

بين المهندس المعماري المصري "حسن فتحي" كيفية تأثير البيئة العمرانية على سلوك الافراد والتأثر بها، وهذا من خلال إبراز وظيفة البيئة العمرانية التي ترتبط بتحقيق هدفين وهما:

- " أولا: تحقيق الجانب المادي من تكوين فراغات تعمل كمحتوى للأنشطة.
- ثانيا: تعريف البيئة المبنية باعتبارها بيئات محيطة بالإنسان الذي هو مركز تلك البيئة، كما أنه يتكامل معها أي أنه يؤثر فيها ويتأثر بها".(فتحي،2001، ص 86)

ويتم تحقق الهدفين من خلال مكونات تتدخل في عملية التأثير على سلوك الانسان في البيئة العمرانية، وتتمثل في عمليات سيكولوجية وخصائص فردية نذكر منها:

- "الخصائص الفيسيولوجية والقدرات البدنية: وهي القدرات الفيسيولوجية لإنسان والتي تؤثر على إدراكه وبالتالي استجابته السلوكية في البيئة المبنية التي يتواجد فيها، ويتضمن ذلك القدرات الحسية والبدنية.
- الشخصية: وهي شخصية الفرد وصفاته.
- المجتمع الذي ينتمي إليه الفرد: وهي تتعلق بالإطار الاجتماعي الذي يتواجد فيه الفرد.
- الخلفية الثقافية: وهي مجموعة القيم والمعتقدات للمجتمع الذي ينتمي له الفرد والتي توجه سلوكه وتشكل خبراته." (فتحي،2001، ص 87)

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

في نفس السياق، أكدت المهندسة المعمارية عزة رضا أبو السعود أن:" تأثير الإنسان وسلوكه يظهر في البيئة العمرانية على مستوى تصميم الوحدات المبنية والواجهات، ويتعدى ليشمل التصميم والتخطيط الحضري العام، وفيما يلي نماذج لتأثير الإنسان وسلوكه على البيئة العمرانية:

شكل رقم 4: تأثير سلوك الانسان على البيئة العمرانية

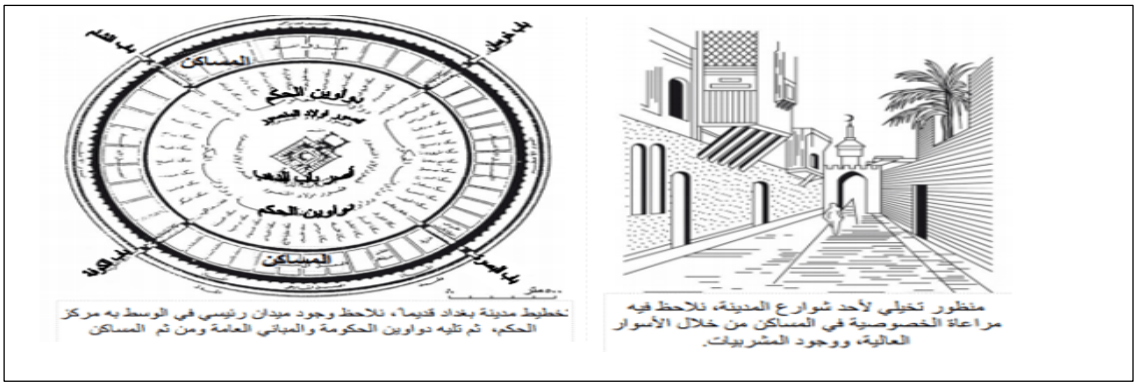

المصدر: (حسن،1992،ص 23)

يظهر هذا التأثير جلياً في طريقة التشكيل، فلكل حضارة سماتها التابعة لمعتقدات وسلوكيات الإنسان بها ومثال لذلك: – المدن الإسلامية القديمة؛ فالتوجهات الإسلامية تحض على البحث عن أكبر قدر من الخصوصية في المجتمعات السكنية؛ الأمر الذي أدى إلى ظهور الأشكال النمطية للكتل، وكذلك انعدام الميادين داخل الأحياء، بالإضافة لوجود ميدان رئيسي في مكان وسطي بالمدينة به المسجد ومقر الحكم والمباني العامة.

من خلال ماسبق، تبرز العلاقة التبادلية بين الإنسان، المجتمع والبيئة العمرانية، حيث يتبادل كل منهم بعلاقة التأثير والتأثر، فمن الممكن أن يؤثر العمران في المجتمع ويكون أداة لتنميته وتطويره، كما أنه من الممكن للمجتمع أن يلقي بملامحه على العمران فيأتي انعكاسا لملامح وقيم المجتمع، فيصبح بذلك العمران كأداة لتنمية المجتمع، وفي نفس الوقت كانعكاس لملامح وقيم وثقافة ودين المجتمع .

وكمثال على ذلك العمارة الاسلامية التي لاتزال في العديد من الدول العربية والغربية والتي تعكس أصالة العديد من الحضارات من خلال الفتوحات الاسلامية.

صورة رقم 3 : **العمارة الاسلامية من خلال سحر الاقواس والفسيفساء**

المصدر: www.hyamag.com 21.08.2021

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

2.4 البيئة العمرانية في ظل التحديات المعاصرة

واجهت البيئة العمرانية في العصر الحديث تحديات التكنولوجيا المتقدمة في شتى المجالات، فظهرت الكهرباء وما تبعها من تطور في نظام الإضاءة والتكييف والصوتيات والمصاعد والسلالم المتحركة والخرسانة المسلحة وإمكاناتها الهائلة، وظهرت الحاجة الى أماكن لانتظار السيارات، ومن ثم ظهرت أنظمة التحكم عن طريق الكمبيوتر لتوفير الفراغات التي يحتاجها الانسان في حياته اليومية.

"فللتكنولوجيا دورا كبيرا في تشكيل المجتمع الحالي ومحيطه، كما لها الأثر على كل جوانب حياة الإنسان ومن ضمنها الهندسة المعمارية والتصميم الداخلي. حيث تغيرت ممارسة الهندسة المعمارية والتصميم الداخلي عما هو في السابق، حيث امتازت بالجماليات المرئية أو وصفها بالعمارة المرئية، ومنه فالتكنولوجيا تفتح الباب للمستقبل، إذ تعتبر واحدة من الجواهر الرئيسية التي تشكل وتغير الطريقة التي يتصرف بها المجتمع ووصلت الى كل مستوياتهِ تقريبا، وأحدها هو تكنولوجيا البناء الحديثة."
(نجاتي،2012، ص 87)

في السابق، مع تقنيات تشييد المباني التقليدية مثل الهياكل ذات الإطارات الخشبية والتكديس الحجري والطوب الطيني، كان شكل والإطار العام للعمارة مجرد شكل بسيط ونقي ينتج منه بناء متجانس، مما جعل العمارة تبدو متشابهة من حيث الإمكانيات بشكل عام في المحيط، لذلك أصبح المهندسين والمصممين بحاجة ملحة لإنشاء وتطوير مواد وتقنيات بناء جديدة بسبب هذا القيد الذي أدى إلى تناقص الجمالية البصرية للمبنى. كل هذه التغيرات ساهمت في تطوير العمران وتحديثه، لكن في نفس الوقت هناك من يرى عكس ذلك، فالتكنولوجيا الحديثة في البيئة العمرانية، ساهمت بشكل كبير في طمس هوية الشعوب، فأصبح الفرد يتجول في بلاد عربية ببيئة عمرانية غربية، بعيدة كل البعد عن الثقافة العربية، وهذا يعتبر من الاهداف التي تسعى إليها الدول الغربية منذ القدم، فهي تعمل على بناء أحياء وحتى مدن بطابع غربي يحل ثقافة دخيلة على هويتنا وعاداتنا وتقاليدنا كعرب مسلمين.

وكدليل على ذلك، ما خلفه الاستعمار الفرنسي في الجزائر من مباني ذات طابع أوربي، يحمل ثقافة فرنسية أوروبية، لا تعكس ثقافة المجتمع الجزائري العربي الاسلامي الامازيغي، وهذا ما تبينه الصورة رقم 4:

صورة رقم4: العمارة الفرنسية في مدينة قسنطينة-الجزائر

المصدر: www.hyamag.com 21.08.2021

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

حيث بين Moore (1986) "أن الحداثة في العمران جاءت ببرنامج اجتماعي إصلاحي وتغلغلت في جميع طبقات المجتمع، ومثلت قيما مشتركة ولغة موحدة عبرت عنها المدينة والعمارة الحديثة، بشكل حقق احتياجات المجتمع ولبى طموحاته، حيث يؤثر الفنان كفرد والفن كتخصص في صناعة العمارة وصياغتها ضمن زمان ومكان محددين."(Moore,1986,p35)

من هنا، فإن عنصر الحداثة أصبح يشكل القالب الشامل للعديد من الدول الغربية وكذلك العربية، حيث أصبحت تكون شخصيات المدن والمجتمعات، وهذا ما أكده العديد من المعماريين العرب، حيث اصبحوا مقلدون لغيرهم، يستوردون من الدول الغربية أو يستنسخون من الماضي، فتجد معظم النماذج المعمارية اليوم تفتقر الى القيم الجمالية المدروسة، فتجد حلقة مفقودة بين الثقافة والعمارة المعاصرة والتي تعود أساسا الى استراد أفكار وتصاميم غير موافقة لثقافة وعادات وتقاليد المجتمع الأصلي.

فينتج في هذه الحالة عدم نضج لمفهوم الحداثة العمرانية والذي يكون السبب في تباعد العلاقة بين السلوك الإنساني والبيئة العمرانية، وهذا من خلال اعتماد التنمية العمرانية والحضرية المستدامة البعيدة عن الثقافة والاصل الفكري المعماري للدول والمجتمعات، فالبرامج التنموية الحضرية هنا، تصبح بحاجة ماسة إلى إعادة تأهيل، وهذا حتى تصبح المدينة وجهين لعملة واحدة وهي الثقافة والسلوك الإنساني.

5-الخاتمة:

بينت الدراسة الراهنة أن تفاعل الانسان مع البيئة المحيطة به وإدراكه للبيئة العمرانية والتأثير المتبادل بين البيئة العمرانية والسلوك الانساني، يكون من خلال الثالوث " إنسان، عمارة، بيئة"، حيث تبين أن العمارة أداة لتنمية المجتمع وهي انعكاس لقيمه، لذلك فالبيئة العمرانية في وقتنا الحاضر تواجه العديد من التحديات التي تساهم بصورة مباشرة وغير مباشرة في طمس هوية المجتمع وثقافته، واستبدالها بثقافة جديدة حديثة تجرد الفرد من تراثه المادي واللامادي، أكدت الدراسة أيضا أن مفهوم البيئة المادية الذي يؤثر على سلوك الإنسان، لا يعنى مجرد عوامل مثل الحرارة والضوضاء والألوان والكثافات والأشكال وإنما تم التعامل مع البيئة باعتبارها مجموعة مركبات يتكون منها الحيز أو المكان الذي يتواجد فيه الإنسان ويتفاعل معه ويمارس فيه أنشطة لمدة زمنية معينة، أما بالنسبة للعلاقة بين البيئة وبين السلوك الإنساني، فقد تتداخل فيها العمليات الداخلية مثل الإدراك والنمو والتعليم لذلك يتوجب الاهتمام بتأثير البيئة المادية على سلوك الإنسان بصورة متساوية في الأهمية مع مكونات وخصائص البيئة الاجتماعية التي يتواجد فيها الفرد، فكما اكد Barker أن محور الاهتمام الأساسي للدراسات في مجال علم النفس البيئي هو المكان وعلاقته بسلوك الإنسان وكيفية إدراك وفهم الأفراد لذلك.

ومنه، فإن الواجب الملقى على عاتق المعماريين ليس سهلا حيث يجب إقناع أصحاب القرار بالبدائل، ومحاولة إيجاد هوية معمارية محلية ذات علاقة ثقافية مناخيه بيئية للمجتمع ، تواكب العصر والتطور التكنولوجي في مجال العمارة والهندسة المعمارية وفي نفس الوقت تحافظ على العلاقة الروحانية بين السلوك الإنساني والبيئة العمرانية.

وفي ضوء النتائج التي توصلت لها الدراسة، أمكن الوصول إلي مجموعة من التوصيات وهي :

- ✓ إعداد البرامج العمرانية، يجب أن يرتبط ارتباطا مباشرا برغبات السكان، ويتطلب ذلك التعرف على الانشطة والسلوكيات الخاصة بهم، أي انه يجب أن يتماشى البرنامج العمراني مع ثقافتهم وسلوكياتهم وعاداتهم.
- ✓ الحاجة إلى تزويد المتخصصين في مجالات علم النفس بمزيد من المعلومات عن دور خصائص الفراغات

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

العمرانية على السلوك الإنساني، وعن كيفية تأثيرها على تفاعل المستخدمين مع البيئة المادية والعمرانية.

- ✓ مراعاه خصوصيه السكان الاجتماعية والثقافية أثناء عمليه التخطيط والتصميم للمساكن بحيث يمكن المحافظة علي التدرج الهرمي للفراغات وحاجات الإنسان النفسية والسلوكية.
- ✓ دراسة القرارات السياسية والاقتصادية وعمليات التطوير بالمنطقة وتأثيرها علي العلاقات المكانية والفراغية للأنشطة المختلفة في تحقيق الأهداف المطلوبة من الفراغات العمرانية .

المراجع:

- عاطف وصفي (1975) **الثقافة والشخصية**، ط1، القاهرة: دار المعارف.
- الدباغ فخري (1986) **السلوك الانساني"الحيقو والخيال!"**، الكتاب الثاني عشر،مصر: دار كتاب العربي.
- سعد عبد الرحمان (1971) **السلوك الانساني: تحليل وقياس المتغيرات**،ط1،القاهرة: مكتبة القاهرة الحديثة.
- بطرس أشرف كامل(2013) **الثقافة والعمارة : منهج لرصد العلاقات التبادلية**،ط1،كلية الهندسة القاهرة: منشورات جامعة القاهرة.
- ابراهيم رضوان (1995) **العمران البشري في مقدمة ابن خلدون**، القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب.
- باهر إسماعيل فرحات (2001) **العلاقة التبادلية بين السلوك الإنساني والبيئة المادية في الفراغات العمرانية**، ط1، القاهرة: منشورات جامعة مصر الدولية
- عسكر علي، الانصاري محمد (1973) **علم النفس البيئي: تفسير نفسي للعلاقة بين البيئة والسلوك البشري**، الكويت: دار البحوث العلمية.
- ابراهيم محمد (2001) **الهوية الثقافية العربية في عالم متغير**،ط1، الاسكندرية: دار النور للنشر والتوزيع.
- حسن فتحي (2001) **عمارة الفقراء**، ط1، القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب.
- محمد عثمان نجاتي (2012) **البيئة العمرانية والتكنولوجيا المعاصرة**، الكويت: دار البحوث العلمية.
- حسن عاطف حمزة (1992) **تخطيط المدن أسلوب ومراحل، الدوحة**: منشورات جامعة قطر.
- الصاوي محمد فاتح (2001) **الانسان وتحديات البيئة العمرانية**، ط1، القاهرة: جامعة مصر الدولية

- PHILLIP L.Hunsaker, Curtis W.COOK,(1986) **Managing Organizational Behavior**, Canada: Addison-Wesley Publishing Company.
- Barker,R.G (1968) **Ecological Psychology:concepts and methos for studying the environment of human behavior** -Stanford:CA University press
- www.google image.com 16.08.2021
- Moore,G.T (1986) "**Effects of the spatial definition of behavior setting on children's behavior**" Belmont,CA:Wads
- Lynch,Kevin (1990) **The Image of the City**, Twentieth printime, USA: Library of Congress.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)